

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أهل البيت



جامعة أهل البيت عليهم السلام
بوابة البحوث

<http://abu.edu.iq>

عبد الله بن العباس (المفتري عليه)

Abdullah bin AL-Abbas (Unfairly Accused)

Dr. Mohsen al Qazwini

الدكتور محسن باقر القزويني^(١)

الخلاصة

الافتراء على عبد الله بن العباس تكشف لنا عن ظاهرة تاريخية خطيرة حيث نجد كيف تتضارب الروايات في مضامينها وتوثيقها لاحدى الشخصيات الاسلامية التي لعبت دوراً كبيراً في التاريخ الإسلامي. بين من اتهمه بالنزاهة وبين من ردّ عليه هذه التهمة. وكيف لعبت الاهداف السياسية والاغراض الشخصية في اتهام مثل هذه الشخصية، وأثر ذلك في الماضي والحاضر حيث مازلنا نسمع من العديد من الكتّاب كطه حسين في كتاب (علي وبنوه) ومن الفضائيات من يردد صدى تلك الاكذوبة التي أطلقتها الاقلام المأجورة قبل أكثر من ألف عام على شخصية عظيمة مخلصة لإسلامها وقائدها وهو عبد الله بن عباس حبر الامة وامام المفسرين وناصر امير المؤمنين عليه السلام.

Abstract

Abdullah bin Al-Abbas was the counselor of the nation, cousin of Ameer Al-mu'mineen Ali bin Abi Talib, and his assistant, the man of difficulties, who accompanied him in all of his actions on war and peace, in crises and easy times in Al-Medina and in Al- Kufa, in Safeen, Al- Jamal and Al- Nahrawan. He was his shadow which followed him. He was his secret

which he never betrayed. He was his minister and counselor. He was the nearest person among his companions. The question is: did he ever abandon him, and disobeyed his commands, and even stole Bait almal, and fled to Al-Taif to buy Al-Jawari? Is it true that Al-Imam Ali accused him of stealing the Muslims' funds (mentioned in one of his messages in Nahjul-Balagah) which was retold by Ibn Abbas with Ameer Al- mu'mineen (peace be upon him).

المقدمة

عبد الله بن العباس خيرا لامة ابن عم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وساعده الايمن ورجل المهمات والملمات الذي كان معه في جميع مواقفه في الحرب والسلام في الشدة والرخاء في المدينة والكوفة في صفين والجمل والنهروان كان ظله الذي يقتفي اثره وسره الذي ما اباحه يوما، كان وزيره ومستشاره واقرب اصحابه اليه.. فهل يا ترى تركه وخالف اوامره بل وسرق اموال بيت المال وهرب بها الى الطائف ليشترى بها الجواري؟! هل صحيح ان الامام اتهمه بسرقة اموال المسلمين في احدى رسائله المذكورة في نهج البلاغة؟ ما قصة ابن عباس مع امير المؤمنين عليه السلام؟

حول هذا المقطع التاريخي يدور بحثنا لكشف حقيقة العلاقة بين ابن عباس وامير المؤمنين. وهل صحيح ما ذكره الكشي في رجاله وما نقل عن الزهري والشعي من مفارقتة لامير المؤمنين عليه السلام وسرقته لاموال البصرة، البحث يدور في عدة محاور هي:

اولاً: من هو عبد الله بن عباس.

ثانياً: مناقشة الروايات المخالفة.

ثالثاً: الرواية الصحيحة والواقعة كما هي.

رابعاً: من كان وراء هذه الروايات التي اثارت زوبعة في التاريخ الاسلامي.

عبد الله بن العباس:

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين صحب النبي صلوات الله عليه وآله محمداً ثلاثين شهراً وحدث عنه. أخذ الفقه عنه جماعة منهم عطاء بن ابي رباح وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود وأبو الشعثاء جابر بن زيد وابن ابي مليكة وعكرمة وميمون بن مهران وعمرو بن دينار وغيرهم^(١).
وامه ام الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية من هلال بن عامر.

اولاده اكبرهم العباس وبه كان يكنى وعلي أبو الخلفاء وهو اصغرهم والفضل ومحمد وعبيد الله وكان وسيما جميلا مديد القامة مهيبا كامل العقل زكي النفس من رجال الكمال، انتقل ابن عباس مع ابويه الى دار الهجرة سنة الفتح وقد اسلم قبل ذلك، وروى خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة.

كان علي مقدمة جيش الامام علي بن ابي طالب في معركة الجمل وولاه على البصرة، اختاره الامام ممثلا في التحكيم واصفا اياه بقوله (ان معاوية لم يكن ليضع لهذا الامر احداً و هو واثق براه ونظره في عمر بن العاص وانه لا يصلح للتولي الا مثله فعليكم بعبد الله ابن عباس فارعوه به فان عمرا لا يعقد عقدا الا حلها عبد الله، ولا يحل عقد الا عنده، ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض امرا الا ابرمه) لكن الخوارج رفضوا ذلك قائلين لا فرق بينه وبين علي فاضطر علي بن ابي طالب الى اختيار ابو موسى الاشعري. وقد بعثه الامام لمحاربة الخوارج مرات عديدة داحضا حججهم صادعا بالحق الذي كان يمثل الامام علي بن ابي طالب يعتبر من رواة الحديث في القرن الاول الهجري اذ روى عن النبي ﷺ وعن الامام علي بن ابي طالب والامام الحسن بن علي بن ابي طالب.

توفي سنة ٦٨ للهجرة في منفاه الذي نفاه إليه عبد الله بن الزبير في الطائف وصلى على جنازته محمد بن الحنفية رضوان الله عليه.

المبحث الاول: آراء العلماء في عبد الله بن عباس

اثني عليه كل من ذكره من ارباب الرجال والتراجم نذكر شواهد على ذلك:

اولا: السيد ابن طاووس قال عنه ((حاله في المحبة والاخلاص لمولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب وموالته والنصر له والذب عنه والخصام في رضاه والمؤازرة له مما لا شبهة فيه ثم قال معرضاً باخبار الدم ومثل الخبر موضع ان يحسده الناس ويباهتون

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا انه لذميم

وقال: ولو ورد في مثله الف رواية امكن ان تعرض للتهمة فكيف بهذه الاخبار الضعيفة الركيكة^(٣) ثانيا: العلامة الحلي كان محبا لعلي بن ابي طالب وتلميذه حاله في الجلالة والاخلاص لامير المؤمنين علي بن ابي طالب اشهر من ان يخفى^(٤).

ثالثا: الشيخ ابن داود (قدس سره) حاله اعظم من ان يشار اليه في الفضل والجلالة ومحبة امير المؤمنين علي بن ابي طالب وانقياده الى قوله^(٥).

٣ - اعيان الشيعة ٥٧/٨.

٤ - خلاصة الاقوال في معرفة الرجال العلامة الحلي ١٩٠ - ١٩١ والعلامة الحلي هو الحسن بن يوسف بن المطهر المولود سنة ٦٤٨هـ والمتوفى عام ٧٢٦، برع في المعقول والمنقول ألف مئات الكتب في كل فن وعلم.

٥ - رجال ابن داود طبع النجف ص ١١ رقم ٨٨٥ هو تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي ت ٧٠٧ ولادته سنة ٦٤٧ من تلاميذ السيد ابن طاووس درس أيضاً عند المحقق الحلي اجازته في كل العلوم.

رابعاً: السيد علي خان ١١٣٠ هـ يقول عنه (الذي اعتقده في ابن عباس رضي الله عنه) انه كان من اعظم المخلصين لامير المؤمنين واولاده ولاشك في تشييعه وإيمانه وجعله في الطبقة الاولى من الصحابة في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة^(٦) ثم اورد جمعا من اقوال الصحابة والعلماء في إيمانه وولائه لامير المؤمنين عليه السلام.

خامساً: ذكره العاملي في اعيان الشيعة بقوله: هو اول من املى في تفسير القرآن عن علي عليه السلام وقال ابو الخير في طبقات المفسرين عند ذكره: (هو ترجمان القرآن وحبر الامة ورئيس المفسرين)^(٧).

سادساً: اورد العلامة التستري الروايات المخالفة في كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة وردھا باجمعها ولم يدع مجالاً للشك بان هذه الروايات التي ذكرها ابن عبد ربه الاندلسي والكشي موضوعة مؤكداً: (الظاهر ان الجعل كان بعد وفاة ابن عباس زمان المروانيين ولم يجترئوا على جعل مثله في حياته بدليل انه لم ينقل طعن احد فيه بذلك)^(٨).

سابعاً: تحدث السيد ابو القاسم الخوئي باسهاب عن ابن عباس وعن الروايات المخالفة له في كتاب معجم رجال الحديث قائلاً: (هذه الرواية وما قبلها من طرق العامة وولاء ابن عباس لامير المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد في وضع هذه الاخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه حتى ان معاوية لعنه الله كان يلعنه بعد الصلاة مع لعنه علياً والحسنين وقيس بن عباد والاشتر) ويخلص في نهاية حديثه عن ابن عباس قائلاً (والمتحصل مما ذكرنا ان عبد الله بن عباس كان جليل القدر مدافعا عن امير المؤمنين والحسين عليهما السلام)^(٩).

المبحث الثاني: الروايات المخالفة

هناك ثلاث روايات تشير الى حادثة ترك ابن عباس لامير المؤمنين وسرقة بيت مال البصرة وهي:

اولاً: رواية العقد الفريد:

قال ابو بكر بن ابي شيبة: كان عبد الله بن عباس من احب الناس الى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الاكابر من اصحاب محمد ﷺ، ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كدت استعملك، ولكن احشئ ان تستحل الفيء^(١٠) على التأويل!

فلما صار الامر الى علي استعمله على البصرة، فاستحل الفيء على تاويل قول الله تعالى ((واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسهُ وللرسول ولذي القربى)) واستحلّه من قربته من رسول الله ﷺ.

٦ - الدرجات الرفيعة ص ١٠١.

٧ - الأمين: أعيان الشيعة ٨٥/٤.

٨ - بهج الصباغة ٨ / ٩٥.

٩ - معجم رجال الحديث ١٠ / ٢٤٨ مطبعة الاداب ط ١ النجف الاشرف.

١٠ - انكصه العقب: أرتجعه عما كان قد اعتمزه وأحجم عنه.

وروى ابو مخنف عن سليمان بن ابي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد قال: مر ابن عباس على ابي الاسود الدؤلي، فقال له: لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى فكتب ابو الاسود الدؤلي الى علي:

اما بعد، فان الله جعلك واليا مؤتمنا، وراعيا مسئولا، وقد بلوناك رحمك الله فوجدناك عظيم الامانة، ناصحا للامة، توفر لهم فيئهم، وتكف نفسك عن دنياهم فلا تاكل اموالهم، ولا ترتشي بشيء في احكامهم. وابن عمك قد اكل ماتحت يديه من غير علمك، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما هنالك، واكتب اليّ برايك، فما احببت اتبعه ان شاء الله، والسلام. فكتب اليه علي:

اما بعد، فمثلك نصح الامام والامة (وأدى الامانة) ووالى على الحق، وفارق الجور؛ وقد كتبت لصاحبك بما كتبت اليّ فيه (من امره)، ولم اعلمه بكتابك الي، فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك، مما النظر فيه للامة صلاح، فانك بذلك جدير، وهو حق واجب لله عليك، والسلام. وكتب علي الى ابن عباس:

اما بعد، فانه قد بلغني عنك امرٌ، ان كنت فعلته فقد اسخطت الله، واخزيت امانتك، وعصيت امامك، وخنت المسلمين. بلغني انك جردت^(١١) الارض واكلت ما تحت يدك، فارفع الي حسابك، واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس والسلام. فكتب اليه ابن عباس: اما بعد، فان كل الذي بلغك باطل، وانا لما تحت يدي ضابط، وعليه حافظ، فلا تصدق علي الظنين، والسلام.

فكتب اليه علي: اما بعد، فانه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما اخذت من الجزية، من اين اخذته؟ وما وضعت منها: اين وضعته؟ فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعتك اياه، فان المتاع بما انت - رازمه^(١٢) قليل، وتباعته وبيلة لا تبديد، والسلام.

فلما رأى ان عليا غير مقلع عنه كتب اليه: اما بعد، فانه بلغني تعظيمك علي مرزئة مال بلغك اني رزأته^(١٣) اهل هذه البلاد، وائم الله لان القى الله بما في بطن هذه الارض من عقياها^(١٤) ومخبئها، وبما على ظهرها من طلاعه^(١٥) ذهبا، احب الي من ان القى الله وقد سفكت دماء هذه الامة لانال بذلك الملك والامرة. ابعث الي عملك من احببت، فاني ظاعن، والسلام.

١١ - جرد الارض: عراها، واكل نباتها.

١٢ - رازمه: جامع.

١٣ - رزأ المال: أي اصاب منه شيئا.

١٤ - العقيان: الذهب.

١٥ - طلاع الشيء: ملؤه.

فلما اراد عبد الله المسير من البصرة دعا اخواله بني هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه، فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالي فاجارهم، ومعه رجل منهم يقال له عبد الله بن رزين، وكان شجاعا بيثسا^(١٦)؛ فقالت بنو هلال: لا غنى بنا عن هوازن فقالت هوازن: لا غنى بنا عن سليم. ثم اتتهم قيس، فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان في بيت مال البصرة، وكان فيما زعموا ستة الاف الف، فجعله في الغرائر^(١٧).

ثانيا رواية رجال الكشي وهي:

قال الكشي: روى علي بن يزداد الصايغ الجرجاني، عن عبد العزيز بن محمد بن عبد الاعلى الجزري، عن خلف المخرمي البغدادي، عن سفيان بن سعيد، عن الزهري، قال سمعت الحارث يقول: استعمل علي عليه السلام على البصرة عبد الله بن عباس، فحمل كل مال في بيت المال بالبصرة ولحق بمكة وترك عليا عليه السلام وكان مبلغه الف الف^(١٨) درهم، فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى، فقال هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان دونه، اللهم اني قد مملتهم فارحني منهم واقبضني اليك غير عاجز ولا ملول.

وقال: قال شيخ من اهل اليمامة، يذكر عن معلى بن هلال، عن الشعبي، قال: لما احتمل عبد الله بن عباس بيت مال البصرة وذهب به الى الحجاز: كتب اليه علي بن ابي طالب: من عبد الله علي بن ابي طالب الى عبد الله بن عباس، اما بعد: فاني قد كنت اشركتك في امانتي ولم يكن احد من اهل بيتي في نفسي اوثق لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي، فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو عليه قد حرب وامانة الناس قد عرت^(١٩) وهذه الامور قد فشت^(٢٠): قلبت لابن عمك ظهر المجن^(٢١) وفارقتهم مع المفارقين وخذلتهم أسوء خذلان الخاذلين، فكأنك لم تكن تريد الله بجهدك وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك انما كنت تكيد امة محمد صلى الله عليه وآله على دنياهم وتنوي غرهم، فلما امكنتك الشدة في خيانة امة محمد اسرعت الوثبة وعجلت العدو، فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الازل^(٢٢) رمية المعزى الكبير كانك لا ابالك انما جررت الى اهلك ترائك من ابيك وامك، سبحان الله! اما تؤمن بالمعاد اوما تخاف من سوء الحساب اوما يكبر عليك ان تشتري الأماء وتنكح النساء باموال الأرامل والمهاجرين

١٦ - البيهقي: الذي اشتدت حاجته.

١٧ - ابن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد ١٠٢-١٠٤.

١٨ - في الترتيب: الف الف درهم.

١٩ - اما من العزة بمعنى القلة والضعف او من العرى بالمهملة بمعنى النزع والاهمال.

٢٠ - وهذه الامة قد فنتت - خ. وفي النهج: وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت.

٢١ - بكسر الاول والهمزة: الترس، يقال: قلب مجنه أي اسقط الحياء، وقلب ظهر المجن اذا تحول الى العداوة.

٢٢ - المعز الكبير - خ والازل: السريع الخفيف الوركين. والرمية: الصيد. والمعزى جمع معز بالكسر. وفي النهج: دامية المعزى الكسيرة.

الذين افاء الله عليهم هذه البلاد، اردد الى القوم امواهم! فو الله لئن لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرني الله فيك، فو الله لو ان حسنا وحسينا فعلا مثل الذي فعلت لما كان لهما عندي في ذلك هواده^(٢٣) ولا لواحد منهما عندي فيه رخصة حتى اخذ الحق وازيح الجور عن مظلومها، والسلام.

قال، فكتب اليه عبد الله بن عباس، اما بعد - فقد اتاني كتابك، تعظم علي اصابة المال الذي اخذته من بيت مال البصرة: ولعمري ان لي في بيت مال الله أكثر مما اخذت، والسلام.

قال، فكتب اليه علي بن ابي طالب عليه السلام اما بعد - فالعجب كل العجب من تزيين نفسك، ان لك في بيت مال الله أكثر مما اخذت وأكثر مما لرجل من المسلمين: فقد افلحت ان كان تمليك الباطل وادعاؤك مالا يكون ينحيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك، عمرك الله انك لانت العبد المهتدي اذاً! فقد بلغني انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا^(٢٤) تشتري مولدات مكة والطائف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك، واني لا قسم بالله ربي وربك رب العزة: ما يسرني ان ما اخذت من امواهم لي حلال ادعه لعقبى ميراثا، فلا غرو واشد باغتباطك^(٢٥) تأكله رويدا رويدا، فكأن قد بلغت المدا وعرضت على ربك والحل الذي يتمنى الرجعة والمضيّع^(٢٦) للتوبة كذلك وما ذلك ولات حين مناص - والسلام.

قال فكتب اليه عبد الله بن عباس اما بعد - فقد أكثرت علي فو الله لان القى الله بجميع ما في الارض من ذهبها وعقياها احب الي ان القى الله بدم رجل مسلم^(٢٧).

ثالثاً : رواية تذكرة الخواص:

اخبرنا ابو الحسن بن النجار المقرئ قال: انبأنا محمد بن ابي منصور انبأنا احمد بن علي بن سوار انبأنا احمد بن عبد الواحد بن محمد الحريري انبأنا احمد بن محمد الجندي انبأنا ابو حامد محمد بن هارون الحضرمي حدثنا ابراهيم بن سعد الجوهري حدثنا المأمون عبد الله بن هارون عن ابيه هارون عن ابيه محمد المهدي عن ابيه ابي جعفر المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن عبد الله بن عباس قال ما انتفعت بكلام احد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب به امير المؤمنين كتب اليّ (سلام عليك اما بعد: فان المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من امر آخرتك وليكن اسفلك على ما فاتك منها وما فاتك من الدنيا فلا تأسفن عليه وليكن همك فيما بعد الموت والسلام).

٢٣ - بالفتح: اللين والرفق والرخصة.

٢٤ - بفتحيتين والمعطن مبرك الابل ومريض الغنم حول الماء.

٢٥ - اغتبط: كان في مسرة وحسن حال وفي نسخة: فلا غرور اشد.

٢٦ - والمضيّع للتوبة لذلك - خ. وفي النهج: ويتمنى المضيّع الرجعة.

٢٧ - الكشي: اختبار معرفة الرجال م ١٠٩-١١٠ ص ٦٠-٦١.

وقد روى السدي هذا عن اشيائه وقال: عقبيه كان الشيطان قد نزع بين ابن عباس وبين علي عليه السلام مدة ثم عاد الى موالاته.

قال: وسببه ان امير المؤمنين ولى ابن عباس البصرة فمر بابي الاسود الدئلي فقال له لو كنت من البهائم كنت جملاً ولو كنت راعياً ما بلغت به المرعى.

فكتب ابو الاسود الى علي عليه السلام، اما بعد: فان الله جعلك والياً مؤتمناً وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحاً للرعية لا تاكل اموالهم ولا ترتشي في الحكم وان ابن عمك قد اكل ما تحت يديه بغير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله في ذلك.

فكتب امير المؤمنين الى ابي الاسود اما بعد: فمثلك من نصح الامام والامة فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما فيه صلاح للامة فانت بذلك جدير ثم كتب الى ابن عباس اما بعد فاعلمي ما اخذت من الخراج والحزبة وفي أي شيء وضعته.

فكتب اليه ابن عباس: ابعث الي عملك من احببت فاني ظاعن والسلام.

ثم دعا ابن عباس اخواله من بني هلال بن عامر؛ فجاءه الضحاك بن عبيد الله وعبد الله بن زريق في جماعة واستدعى قيساً فجاء فاخذ ما كان في بيت المال من الاموال ولحق بالطائف فعارضه علي عليه السلام بالخييل ففاته الى مكة وكان الذي عارضه بكر وجماعة من البطون فاقتتلوا قتالا كثيراً وجرح من الفريقين جماعة ثم اقلت ابن عباس في عشرين من اخواله الى الحجاز فنزل مكة.

قال هشام: كان الذي اخذه من بيت المال اربعمائة الف درهم وقيل سبعمائة الف ولما مضى الى مكة كتب اليه امير المؤمنين سلام عليك اما بعد فاني اشركتك في امانتي ولم يكن احد من اهل بيتي اوثق في نفسي منك لمؤازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد حرب والعدو قد كلب وأمانة الناس قد خربت والامة قد افتتنت قلبت لابن عمك ظهر المحن بمفارقتها مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واحتطفت ما قدرت عليه من مال الامة اختطاف الذئب فاردة المعزى اما توقن بالمعاد ولا تخاف رب العباد اما يكبر عليك انك تأكل الحرام وتنكح الحرام وتشترى الاماء باموال الارامل والايتماء اردد الى المسلمين اموالهم ووالله لئن لم تفعل لاعذرنا الله فيك فان الحسن والحسين لو فعلا ما فعلت لما كان لهما عندي هواده والسلام.

فكتب اليه ابن عباس: حقي في بيت المال اكثر مما اخذت منه، فكتب اليه علي عليه السلام العجب العجب من تزوين نفسك لك انك اخذت اقل مما لك وهل انت الا رجل من المسلمين وقد علمت بسوابق اهل بدر وما كانوا ياخذون غير ما فرض لهم وكفى بك انك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً تشتري من مولدات الطايف ومكة والمدينة ما تقع عليه عينك وتميل اليه نفسك تعطي فيهن مال غيرك واني اقسم بالله ما احب ان ما اخذت من اموالهم حلالاً ادعه بعدي ميراثاً فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك اعمالك إذا بالخل الأعلى الذي يتمنى فيه المضيع للتوبة الخالص ولات حين مناص.

فكتب اليه ابن عباس: لان القى الله بكل ما على ظهر الارض وبطنها احب الي من ان القاه بدم امرئ مسلم.

فكتب اليه عليه عليه السلام: ان الدماء التي اشرت اليها قد خضتها الى ساقيك وبذلت في اراققتها جهدك ووضعت باباحتها حظك وتقشعت عنها فتياك واذا لم تستح فافعل ما شئت قال ابو اراكة ثم ندم^(٢٨) ابن عباس واعتذر الى علي عليه السلام وقبل امير المؤمنين عذره وقيل انه عاد الى الكوفة والصحيح انه لم يزل مقيماً بمكة حتى استشهد علي عليه السلام (٢٩).

المبحث الثالث: مناقشة الروايات المخالفة

مناقشة ابن ابي الحديد:

بعد أن أورد ابن ابي الحديد كتاب أمير المؤمنين ومن كتاب له الى بعض عماله قال: اختلفوا في المكتوب اليه فقال الأكثر أنه ابن عباس ورووا في ذلك روايات وأستندوا بألفاظ من الكتاب كقوله: " اشركتك في امانتي وجعلتك بطانتي وشعاري وأنه لم يكن في اهلي رجلٌ أوثق منك " وقوله " رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب " وهذه كلمة لا تقال للأئمة، فأما غيره من افتاء الناس فإن علي كان يقول له " لا أبا لك " وقوله: "أيها الممدود عندنا من أولي الألباب " وقوله " لو أن الحسن والحسين " فهذا يدل على أن المكتوب اليه قريب أن يجري مجراه.

وقال آخرون: هذا لم يكن ولا فارق عبد الله علياً عليه السلام ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قتل علي: ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني من كتابه الذي كتبه الى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام وقد ذكرناه قبل، قالوا وكيف يكون ذلك ولم يحتدع معاوية ولم يجره الى جبهته فقد علمتم كيف أحتدع كثيراً من عماله عليه السلام واستمالهم اليه بالأموال، فمالوا وتركوا علياً، فما بال معاوية وقد علم الفجوة التي حدثت بينهما ولم يستعمل ابن عباس ولا اجتذبه الى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التاريخ يعرف مشاققة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام فيما كان يلقيه من قوارع الكلام وشديده، وما كان يثني به علي عليه السلام. ويذكر خصاله وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غباراً او كدراً لما كان الامر كذلك، بل كانت الحال بالضد.

ثم اردف قائلاً: وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإن كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع عليه عليه السلام خالفت الرواة، فإنهم أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السير، وإن صرفته الى غيره لم أعلم الى من أصرفه فأنا في هذا الموضوع من المتوقفين^(٣٠)

٢٨ - وفي نسخة: ثم ندم ابن عباس وعاد الى مولا امير المؤمنين عليه السلام وجاء من مكة معتذراً اليه واخبره انه فرق الاموال في اهلها، والصحيح ان ابن عباس قام بمكة حتى قتل امير المؤمنين عليه السلام.

٢٩ - ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٢٠١-٢٠٢.

٣٠ - ابن ابي الحديد ١٦، ١٦٩، ١٧٢.

تعليق العلامة التستري على توقف ابن ابي الحديد:

ناقش العلامة التستري توقف ابن ابي الحديد في هذه المسألة بين تكذيب الرواية وتصديق ما عُرف عن ابن عباس من ملازمته لأمير المؤمنين فعلق قائلاً: "المصنف (ابن ابي الحديد) توقف حيث قال هنا: وفي كتاب قبله قد ذكرناه في العنوان السابق " وفي كتاب له عليه السلام الى بعض عماله "ولم يقل "الى ابن عباس" مع أنه رأى من نقل الكتابين حديثهما في عبد الله ثم يذكر موقف أبو زيد وهو أحد المتوقفين أيضاً لينتهي قائلاً. وكيف كان فيقال في جواب ابن ابي الحديد انه قاعدة عقلية إذا تعارض العقل والنقل يقدم العقل، فإذا كان معلوماً ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، واستمالة معاوية مع انتهازه الفرصة في مثل ذلك نقطع بأن النقل باطل. وبعد أن يورد مؤاخذاته على الروايات المختلفة في متونها يخلص قائلاً: وبالجملة النقل فيه مختلف و متعارض وخبر الخصم خلاف العقل والدراية فأبي عبرة بمثله من الرواية حتى يقول ابن ابي الحديد ان كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع خالفت الرواية وكم من روايات لهم مخالفة للدراية، ثم يبدأ يعدد عدداً من الروايات التي ذكروها وهي مخالفة للعقل والواقع (٣١).

معارضة هذه الرواية بروايات أخرى:

هناك عدد من الروايات تنفي الروايات الثلاث التي ذكرناها منها:

أولاً: رواية ابي عبيدة:

وقد ذكرها السيد المرتضى في الغرر: دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي العباسي فقال له سليمان: أخبرني عن قول علي في ابن عباس
يفتينا في القملة والقملة وطار بأموالنا في ليلة

فقال له عمرو: كيف يقول علي هذا وابن عباس لم يفارق علياً عليه السلام حتى قُتل وشهد صلح الحسن، وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلام الى الأموال وهو يُفرغ بيت مال الكوفة كل خميس ويرشه، وقال انه كان يقيّل فيه، فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل (٣٢) وذكر الطبري هذه الرواية على الشكل الآتي: إن ابن عباس لم يبرح البصرة حتى قُتل علي عليه السلام فشخص الى الحسن عليه السلام فشهد الصلح بينه وبين معاوية ثم رجع الى البصرة وثقله بها (٣٣).

ثانياً: رواية ابي مخنف:

إذ أورد ابو مخنف رواية يستدل منها على أنّ ابن عباس كان في البصرة عندما استشهد أمير المؤمنين ولم يفارقه كما ورد في الروايات الثلاثة ذكره ابو فرج الاصفهاني
عن ابي مخنف عندما بدأ الناس يبائعون الحسن عليه السلام بعد شهادة ابيه

٣١ - بحج الصباغة ٨، ٨٨، ٨٩.

٣٢ - امالي الشريف المرتضى ٢/ ١٢٣، مجلد ١٢.

٣٣ - الطبري: ١٠٩/٤.

ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس الى بيعته، فاستجابوا له، وقالوا: ما احبه الينا واحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل من على المنبر.

قال: ودس معاوية رجلا من بني حمير الى الكوفة ورجلا من بني القين الى البصرة يكتبان اليه بالاخبار، فدل على الحميري عند^(٣٤) لحام جرير^(٣٥) ودل على القيني بالبصرة في بني سليم، فاحذا وقتلا^(٣٦).

وكتب الحسن عليهما السلام الى معاوية:

اما بعد، فانك دسست الى الرجال كانك تحب اللقاء، وما اشك في ذلك، فتوقعه ان شاء الله، وقد بلغني انك شئت بما لا يشمت به ذوو الحجي، وانما مثلك في ذلك كما قال الاول:
وقل للذي يبغي^(٣٧) خلاف الذي مضى تجهز لآخرى مثلها فكأن قد
وان ومن قد مات منا لكالذي يروح ويمسي في البيت ليغتدي

فاجابه معاوية:

اما بعد، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم افرح ولم احزن ولم اشمتم ولم اس^(٣٨)، وان علي بن ابي طالب كما قال اعشى بني قيس بن ثعلبة:
وانت الجواد وانت الذي اذا ما القلوب ملأن الصدورا^(٣٩)
جدير بطعنة يوم اللقا ء تضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحا ر يعلو الاكام ويعلو الجسورا^(٤٠)
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوف ويعطى البدورا

قال: وكتب عبد الله بن العباس من البصرة الى معاوية^(٤١):

أما بعد، فانك ودسك اخا بني قين الى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال امية بن السكر^(٤٢):

٣٤ - في ط وق (عبد).

٣٥ - في الاغاني ١٨ / ١٦٢ عن ابي مخنف (قال: لما بلغ معاوية مصاب امير المؤمنين علي دس رجلا من بني القين الى البصرة يتجسس الاخبار ويكتب بما اليه فدل على القيني بالبصرة في بني سليم فاحذ وقتل).

٣٦ - الارشاد ١٤٨ وابن ابي الحديد ٤ / ١١.

٣٧ - في ط وق (يقى).

٣٨ - فيهما (ولم أياس).

٣٩ - الابيات في ديوان ص ٧٢.

٤٠ - في ديوانه (من خليج الفرات يغشى الإكام).

٤١ - الاغاني ١٨ / ١٦٢ وابن ابي الحديد ٤ / ١٢.

٤٢ - في الاغاني (كما قال الشاعر) وفي ابن ابي الحديد كما قال امية بن ابي الصلت وفي ط وق (كما قال امية - يعني ابن الاشكر) وهو تحريف.

لعمرك إني والخزاعي طارقاً
اثارت عليها شفرة بكراعتها
شمت يقوم من^(٤٣) صديقك اهلكوا
كنعجة عاد حنقها تنحفر^(٤٤)
فظلت بها من اخر الليل تنحر
اصابهم يوم من الدهر اصفر^(٤٥)

فاجابه معاوية:

اما بعد، فان الحسن بن علي قد كتب الي بنحو ما كتبت به، وانبأني بما لم اجز^(٤٦) ظناً وسوء راي،
وانك لم تصب مثلكم ومثلي ولكن مثلنا ما قاله طارق الخزاعي يجيب امية عن هذا الشعر^(٤٧):
فوالله ما ادري وانني لصادق
اعنف ان كانت زينة اهلكت
الى أي من يظنني^(٤٨) اتعذر
ونال بني لحيان شر فأنفروا^(٤٩)

ذكرنا هذه الرواية بالتفصيل لتدل على سوء العلاقة بين ابن عباس^(٥٠) ومعاوية، وهذا يدحض ما
دُكر من روايات ان ابن عباس ترك علياً عليه السلام.

مناقشة العلامة التستري لرواية رجال الكشي يقول التستري:

وأما رواية الكشي للكتاب بسند آخر عرفته فنسخة كتابه مصحفة مختلطة سنداً وممتناً بحيث لا يوجب
الاعتماد على ما تفرد به كما برهنا عليه في الرجال كخبر آخر رواه، فقال: روى علي بن يزدان الصائغ
الجرجاني عن عبد العزيز بن محمد بن عبد الأعلى الجزري عن خلف المخزومي البغدادي عن سفيان بن
سعيد عن الزهري عن الحرث: استعمل علي عليه السلام على البصرة عبد الله بن العباس، فحمل كل ما في بيت
مال البصرة ولحق بمكة وترك علي عليه السلام، وكان مبلغه ألف درهم فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه
ذلك فبكى وقال: هذا ابن عم النبي في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان دونه، اللهم اني
قد مللتهم وأقبضي اليك غير عاجز ولا ملول^(٥١) مضافاً الى مجهولية روايته^(٥٢).

٤٣ - في الاغاني (يقوم هم صديقك).

٤٤ - في الخطبة والاغاني (كنعجة عاد) وفي ط وق (غاز) وفي ابن ابي الحديد (كنعجة غادت).

٤٥ - في الاصول وابن ابي الحديد (من الدهر اصفر) وفي الاغاني (اعسر) وفيه ايضا (اصعر)

٤٦ - كذا في الاصول والاغاني وفي ابن ابي الحديد (بما لم يحقق سوء ظن وراي في)

٤٧ - في الاغاني ١٨ / ١٦١ (قال ابو عمرو الشيباني: اصيب قوم من بين جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط امية بن
الاسكر. يقال لهم: بنو زينة اصحابهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم المريسع في غزوة بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني
لحيان من هذيل، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له: طارق، فاتحمه بنو ليث وانه دل عليهم، وكانت خزاعة مسلمها ومشركها
يميلون الى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش فقال اميرة بن الاسكر لطارق الخزاعي (لعمرك اني والخزاعي طارقاً) فاجابه طارق الخزاعي فقال
(لعمرك ما ادري واني لقاتل).

٤٨ - اظنه: اتهمه، وهو افعل من الظنة بالكسر أي التهمة، فاصله اظنن، ثم ابدل وادغم.

٤٩ - انفروا: شردوا، وفي الاغاني (نفروا).

٥٠ - ابو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٦٢-٦٤.

٥١ - رجال الكشي ص ٦ حديث ١٠٩

٥٢ - بحج الصباغة ٨، ٩٠، ٩٩

أما رجال الرواية فهم:

١- الشعبي (١٠٣هـ):

هو عامر بن شراحيل بن عبد، وهو كوفي وأمه من سبي جلولاء، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ثلاث ومائة. وكان من خواص بني أمية، استخدمه عبد الملك بن مروان مثلاً عنه إلى ملك الروم.

يقول عنه الشيخ المفيد: كان مشهوراً بالنصب لعلي ولشيعته وذريته، وكان معروفاً بالكذب سكيراً خميراً مقامراً عياراً.

ويستدرك الشيخ المفيد: وقد أجمع أهل السير أنه شهد البصرة مع علي ثمانمائة من الانصار وتسعمائة من أهل بيعة الرضوان وسبعون من أهل بدر وكان الشعبي قد نقل إن علياً دخل اللحد وما حفظ القرآن وبلغ به كذبه أنه قال: لم يشهد الجمل من الصحابة إلا أربعة، فإن جاؤوا بها في من ذكروا فإنه كذاب: علي وعمار وطلحة والزبير (٥٣).

٢- سفيان بن سعيد (١٦١هـ):

أبو عبد الله الثوري سفيان بن سعيد بن مسروق بن جبير الثوري ذكره الكشي في رجاله في محاورة بين الإمام الصادق عليه السلام وعدد من الأشخاص جاؤوا من مناطق بعيدة وهم قد سمعوا أخباراً أرادوا أن يعلموا صدقها من سقمها والكثير من هذه الأخبار المنقولة عن الإمام أمير المؤمنين وبقيّة الأئمة وحتى عن الإمام الصادق رواها سفيان الثوري وقد بين لهم الإمام كذب تلك الروايات والأخبار .

ومن جملة ما ذكره أن علياً لما قتل أهل صفين بكى عليهم ثم قال: جمع الله بيني وبينهم في الجنة وأيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام أكل ذبايح أهل الذمة.

وروى عن الإمام الصادق النبيذ كله حلال إلا الخمر وروى عن الإمام الباقر عليه السلام من لا يمسح على خفيه فهو صاحب بدعة. إلى آخر ما رواه من تلك الأحاديث المكذوبة على الأئمة.

ولايضاح الموقف لهؤلاء طلب الإمام أن يكتبوا عنه من كذب علينا أهل البيت حشره الله يوم القيامة أعمى (٥٤).

وذكر الخوئي اعتراض سفيان الثوري على الإمام الصادق عليه السلام (٥٥)

وقال عنه العلامة في الخلاصة: ليس من أصحابنا (٥٦)

٥٣ - المفيد: الفصول المختارة ص ٢١٦.

٥٤ - رجال الكشي: ص ٣٩٦.

٥٥ - معجم رجال الحديث ص ١٥٣/٨.

٥٦ - الحلي الخلاصة ٢ في الباب ٦ من حقل السين.

٣- الزهري (حي ١٨٤هـ):

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب، ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناءً بليغاً، روى الخطيب البغدادي أنه قدم بغداد سنة ١٨٤ هـ فأكرمه الرشيد وظهر بره وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله وأتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري فسمعه يتغنى^(٥٧) ذكره القمي أنه كان عثمانياً وكان لخلافة علي عليه السلام كارهاً^(٥٨).

تناقضات المصادر الثلاثة

قلما يحدث في مصدر واحد أن تجد فيه التناقض في تشخيص أحد الرجال بين الذم والمدح، وهذا يدل على ضرورة التقصي والبحث قبل اصدار الحكم النهائي على ذلك الشخص الذي يراد تقييمه. وهذا هو المنهج العلمي الصحيح الذي يجب ان يتبعه كل من كتب عن عبد الله بن عباس حيث جاءت الروايات المخالفة له متعارضة مع كم كبير من الروايات المؤيدة له والتي تنفي عليه، وسنجد هذه الروايات ضمن تلك المصادر التي كانت وراء نشر تلك الاكذوبة وهي كتاب العقد الفريد وكتاب رجال الكشي وكتاب تذكرة الخواص:

أولاً: كتاب العقد الفريد:

إذ أورد ابن عبد ربه الاندلسي رواية عن اجتماع معاوية بابن عباس مشتملاً على حوار جاد حول موقف الهاشميين واستغلال الولاة لاموال الدولة نذكر الحوار بأكمله:

((اجتمعت قریش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس، وكان جريئاً على معاوية حقاراً له، فبلغه عنه بعض ما غمّه، فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس، كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت في الحي والحَي في الميت، استعملك عليّ يا ابن عباس على البصرة، واستعمل أخاك عبيد الله على اليمن، واستعمل أخاك تماماً على المدينة، فلما كان من الامر ما كان، هنأتكم ما في أيديكم، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم، وقلت: آخذ اليوم وأعطي غداً مثله. وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئت لأخذت بملاقيمتكم وقبائلكم ما أكلتم. ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم: خذلتكم عثمان بالمدينة، وقتلتكم أنصاره يوم الجمل، وشاربتموني بصفين، ولعمري لبنو تيم وعدي أعظم ذنوباً منا إليكم، إذ صرفوا عنكم هذا الامر، وسنوا فيكم هذه السنة، فحتى متى أغضي الجفون على القذى، وأسحب الذبول على الأذى، وأقول لعل الله وعسى... ما تقول يا ابن عباس !؟.

قال: فتكلم ابن عباس فقال: رحم الله أبانا وأباك، كانا صفيين متفاوضين، لم يكن لأبي من مال ما فضل أباك، وكان أبوك كذلك لأبي، ولكن من هنأ أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك، نصر

٥٧ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨٤/٤.

٥٨ - القمي: الكنى والألقاب ٣٠١/٢.

أي أباك في الجاهلية، وحقن دمه في الإسلام، وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجلاً لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرميّ على البصرة فقتل، وابن بشر بن أرطاة على اليمن فخان، وحبيب بن مرة على الحجاز فزّده، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا، وليس الذي يبلغنا عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لحققها، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها. وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه، وأما قتلنا أنصاره يوم الحمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حرينا إياك بصفين فعلى ترك الحقّ وادعائك الباطل، وأما إغراؤك إيانا بتيتم وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها^(٥٩).

١. يفيدنا هذا الحوار الذي تم بين معاوية وابن عباس عقب صلح الامام الحسن عليه السلام على ما يأتي:
العداء المستحكم بين معاوية وعبد الله بن عباس، فلو كانت هناك هوة بين ابن عباس وامير المؤمنين عليه السلام لكان معاوية قد استغلها محاولاً أن يقربه اليه كما قرّب أخاه عبيد الله بن العباس مع أن عبد الله كان الاولى في ضمه الى الصف الأموي لأهميته ومكانته المرموقة.
٢. لو كانت هناك أية عملية للتلاعب بأموال البصرة من قبل ابن عباس لذكره معاوية به واتهمه به في قبال اتهم ابن عباس لولاة معاوية كالحضرمي وابن أرطاة و حبيب بن مرة والضحاك بن قيس بالتلاعب بأموال الدولة وقتل النفوس الطاهرة وظلم العباد. إذ كانت حادثة البصرة حجة قوية بيد معاوية في الدفاع عن نفسه أمام إتهامات ابن عباس.
٣. قول ابن عباس "وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت انت رجلاً لهواك لا لنفسك": يؤكد للتاريخ طبيعة الولاية التي تولّاها ابن عباس من قبل امير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يختار ابن عباس عن هوى ولدواع دنيوية بل كان وراء توليه اهدافاً اخروية سيحاسب عليها امير المؤمنين عليه السلام لو اساء اختيار ولاته ومنهم ابن عباس [حاشاه ذلك]. وهذه الحقيقة هي التي رسمت العلاقة بين امير المؤمنين عليه السلام وولاته فكان شديداً عليهم يعنفهم على الامور الصغيرة كحضور موائد الاغنياء. فكيف بسرقة المال العام.

ثانياً: كتاب رجال الكشي:

الى جانب تلك الرواية التي تنال من ابن عباس جاء الكشي برواية معاكسة تماماً حيث تبرأ ابن عباس عن جميع تلك التهم التي أوردتها تلك الرواية ونص الرواية هو:
(حمدويه وابراهيم، قالوا حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن سلام بن سعيد، عن عبد الله بن عبد ياليل رجل من اهل الطائف، قال: اتينا ابن عباس (رحمة الله عليهما) نعوذه في مرضه الذي مات فيه، قال، فاغمى عليه في البيت فاخرج الى صحن الدار، قال، فافاق، فقال: ان خليلي رسول الله ﷺ قال -اني ساهاجر هجرتين واني ساخرج من هجرتي: فهاجرت هجرة مع رسول الله ﷺ وهجرة مع علي عليه السلام واني ساعمى: فعميت، واني ساغرق: فاصابني حكة فطرحني اهلي في البحر فغفلوا عني فغرقت ثم استخرجوني بعد، وامرني ان أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم اصحاب

الجميل ومن القاسطين وهم اصحاب الشام ومن الخوارج وهم اهل النهروان ومن القدرية الذين ضاهوا النصارى في دينهم فقالوا لا قدر ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم فقالوا الله اعلم، قال، ثم قال: اللهم اني احيي على ماحيي عليه علي بن ابي طالب واموت على ما مات عليه علي بن ابي طالب، قال، ثم مات فغسل وكفن ثم صلى على سريره، قال، فجاء طائران ابيضان فدخلا في كفنه فرأى الناس إن هو فقهه فدفن^(٦٠).

تؤكد هذه الرواية:

١. وعلى لسان ابن عباس وهو في اللحظات الأخيرة من حياته بانه التزم بتعليمات الرسول الاكرم عندما أمره أن يتبرأ من خمسة من الناكثين والقاسطين والمارقين والقدرية والمرجئة وبالأحرى انه كان ملتزماً بولائه وإيمانه بأمر المؤمنين وانه يمثل الإسلام الحقيقي فهل من المعقول بعد كل ذلك يخون الامانه ويترك امير المؤمنين عليه السلام في اللحظات الحرجة التي كان بحاجة الى من يقف الى جانبه.
٢. آخر كلمة خرجت من فم ابن عباس هذا الدعاء: اللهم اني احيي على ماحيي عليه علي بن ابي طالب واموت على ما مات عليه علي بن ابي طالب : - كما في الرواية - وهو ما يتناقض مع المروي سابقاً بأنه سرق اموال البصرة وترك امير المؤمنين عليه السلام وحيداً وهو يواجه أعداءه الطامعين .
٣. النهاية الاخيرة لابن عباس - كما في الرواية - دخول طائرين ابيضين في كفنه وقد رأى الناس ذلك، دلالة واضحة على حسن الخاتمة لحياة رجل وقف مدافعاً عن إمامه نصيراً لمبادئه ولم تكن هناك أية مخالفات من قبيل ما ورد في الرواية رقم (١٠٩-١١٠)^(٦١).

ثالثاً: كتاب تذكرة الخواص:

أورد سبط بن الجوزي رواية أخرى مناقضة للرواية المتقدمة، إذ ذكر بان الامام عليه السلام ارسل اليه بكتاب " اما بعد فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن يدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته.." فعلق ابن عباس على هذا الكتاب قائلاً: " ما انتفعت بكلام أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله كأنتفاعي بكلام امير المؤمنين به الي " ^(٦٢).

وهذا يحتم علينا أن نرفض الرواية السابقة لأنها لاتنسجم مع جواب ابن عباس على الكتاب الذي كتبه اليه امير المؤمنين عليه السلام وهذا ما يتوافق مع أغلب المصادر التاريخية كتاريخ الطبري واليعقوبي وابن أعثم (الفتوح) كما أوردنا ذلك.

٦٠ - رجال الكشي ح ١٠٦ ص ٥٦.

٦١ - انظر رجال الكشي ص ٦٠-٦١.

٦٢ - انظر تذكرة الخواص ص ٢٠١.

المبحث الرابع: الرواية المؤيدة لابن عباس

هناك رواية اوردتها بعض كبار المؤرخين تتناقض مع الروايات السابقة وهي تدلل على حقيقة ما جرى بين ابن عباس وامير المؤمنين وإن المسألة لم تكن بتلك الصورة القائمة فلا حديث عن سرقة ولا هروب من البصرة ولا مشاركة لامير المؤمنين وقد أورد هذه الرواية مؤرخان مهمان هما البيهقي وابن أعثم الكوفي. وفيما يأتي نص الروایتين كما جاءتا في كتاب البيهقي وكتاب الفتوح .

أولاً: نص ما أورده البيهقي في كتابه:

"وكتب أبو الأسود الدؤلي، وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة، إلى عليّ يعلمه أنّ عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردها، فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردّها، فلما ردّها عبد الله بن عباس، أو رد أكثرها، كتب إليه عليّ: أما بعد، فإنّ المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فاذا أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت، والسلام. فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قطّ اتعاطي بكلام أمير المؤمنين" (٦٣).

وهذا النص مطابق لما أورده سبط بن الجوزي في الرواية الثانية والتي تنفي وجود سرقة الأموال والهروب من البصرة ومشاركة امير المؤمنين عليه السلام

ثانياً: نص رواية ابن أعثم الكوفي:

"خبر عبد الله بن عباس وزيد بن أبيه وأبي الأسود الدؤلي وما جرى بينهم قال: ثم بعث علي إلى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحج للناس. قال فدعا عبد الله بن عباس بأبي الأسود الدؤلي فاستخلفه على صلاة البصرة، ودعا بزید بن أبيه فجعله على الخراج، وتجهز عبد الله بن عباس وخرج إلى الموسم.

قال: وجرت بين أبي الأسود وزيد بن أبيه منافرة، فهجاه أبو الأسود وقال فيه هذه الأبيات:

ألا بلغنا عنّي زياداً رسالة
يحث إليه حيث كان من الأرض
فما لك من ورد إذا ما لقيتني
يقطع دوني طرف عيني كالمغضي
وما لي إذا ما أخلف الود بيننا
أمر القوي منه (و) تعمل في النقص
ألم تر أنني لا أكون شيمتي
يكون غول الأرض في الطول والعرض

قال: ثم بلغ أبا الأسود بعد ذلك [أن] زياداً يشتمه ويقول فيه القبيح، فأنشأ يقول:

نبئت أن زياداً ظل يشتمني
والقول يكتب عند الله والعمل
قد لقيت زياداً ثم قلت له
من قبل ذلك ما جاءت به الرسل
حتام تذكرني في كل مجتمع
عرضاً وأنت إذا ما شئت تتنقل

حَتَامُ تَشْتَمِنِي حَتَامُ تَذْكُرْنِي وَقَدْ ظَلَمْتَ وَتَسْتَغْفِي وَتَتَصَلَّ
ثُمَّ تَعُودُ وَتَسْأَلُ مَا يُوَافِقُنِي وَالْعَذْرُ يَنْدُمُ (و) النَّسِيَانُ وَالْعَجَلُ

قال: وقدم عبد الله بن العباس من الحج، فأقبل إليه زياد بن أبيه فشكى إليه أبا الأسود الدؤلي وذكر أن قد هجاه، فأرسل إليه ابن عباس فدعاه فقال: أما والله لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنت للجمل راعياً لما بلغت به المرعى ولا أحسنت القيام عليه في الماء، ما لك ولالأحرار! تهجوهم وتقول فيهم القبيح وتذكر أعراضهم بما لا يجب، أخرج عني، فعل الله بك وفعل!

قال: فخرج أبو الأسود من عند ابن عباس مغضباً، ثم كتب إلى علي بن أبي طالب: أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى قد جعلك يا أمير المؤمنين والياً مؤتمناً وراعياً مسؤولاً، ولقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرعية، توفّر عليهم حقوقهم وتزجر نفسك عن دنياهم، ولا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أموالهم، وإن ابن عمك هذا قد أكل مال الله بغير حق، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما ههنا واكتب إلي برأيك فيما أحببت من ذلك - إن شاء الله -.

قال: فكتب إليه علي (رضي الله عنه): أما بعد: فمثلك نصح الإمام والأمة ودل على الحق، وقد كتبت إلى صاحبك فيما ذكرت من أمره ولم أعلمه بكتابتك إلي، فلا تدعن إعلامي بما يكون بمحضرتك ما فيه النظر لأمة محمد ﷺ فإنه واجب عليك في دينك - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

قال: ثم كتب علي إلى عبد الله بن العباس: أما بعد، يا بن العباس! فقد بلغني عنك أمور الله أعلم بها، فإن تكن حقاً فليست أرضاها لك، وإن تكن باطلاً فإثمها على من اقترفها، فإذا ورد عليك كتابي هذا فأعلمني في جوابه ما أخذت من مال البصرة، من أين أخذته، وفيه وضعته.

قال فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد علمت الذي بلغك عني، وإن الذي أبلغك الباطل، وإني لما تحت يدي لضابط وحافظ، فلا تصدق أقوال الوشاة ما لم يكن.

قال: ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد في منزله، فكتب إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكتاب يعذله فيه على غضبه ويكذب من سعى به إليه وأعادته إلى عمله (٦٤).

وهو مطابق للنص المتقدم الذي أورده البيهقي مع شيء من التفصيل وهو ينفي الأمور الثلاثة التي أوردتها الرواية المخالفة: سرقة مال البصرة والهروب إلى الحجاز والانفصال عن أمير المؤمنين ﷺ.

فلم يكن هنا لاتعدي على بيت المال ولم يفر ابن عباس إلى الحجاز بل أرسل إلى الحجاز بأمر من أمير المؤمنين ليكون أميراً على الحاج، ولم يترك البصرة ولا الولاية بل ربما اعتزل بضعة أيام عندما وصلته رسالة أمير المؤمنين ثم عاد إلى عمله بعد الرسالة الثانية التي بعثها إليه يؤكد له أمانته وصدقه، وحتى موضوع الاعتزال ربما غير صحيح و مبالغ به لما عرف عن ابن عباس ومحبته لأمر المؤمنين ﷺ الذي ينفي وجود مثل هذا الموقف على ضعف أهميته.

مناقشة الروايات والرأي الصحيح

من الروايات التي ذكرناها سابقاً نجد التناقض بين تلك التي تدين ابن عباس وتتهمه بسرقة الأموال والفرار من البصرة وترك أمير المؤمنين وبين ما ينفي ذلك جملة وتفصيلاً وترفع من شأنه إلى مستوى عبد الله بن جعفر وحمزة من الصحابة.

وبين تلك الروايات وهذه هناك من ذكر بأن ابن عباس أخذ قليلاً أو كثيراً من بيت المال لا من باب التجاوز بل من باب العارية ثم أعاده إليه، ربما اجتهد فأخطأ وهذه الصورة لا تصل إلى حد الاتهام بالسرقه والخروج عن طاعة أمير المؤمنين. والرجل ليس معصوماً لكن السياسة والصراعات على الكراسي والمناصب هي التي أثارت هذه الزوبعة وهي وراء هذه الموجة من الاتهامات التي اتهم بها ابن عباس. طبعاً بعد وفاته - لمصالح سندكرها فيما بعد -. فالمرجح للمنصف والباحث ولكل من حقق في هذا الموضوع من علماء الرجال كالعلامة الحلي والسيد ابن طاووس والشيخ ابن داود والعلامة التستري ومحسن الأمين والسيد الخوئي هو رفض تلك الروايات المخالفة وترجيح الروايات التي تنزه ابن عباس من كل شائبة أو شبهة فالمرجح هو ما ذهب إليه اليعقوبي وابن اعثم للأسباب الآتية:

١. كلا المصدرين (اليعقوبي) و(الفتوح) يكاد يتفقان على صورة متشابهة وقعت من خلال حادثة الوشاية وموقف الإمام علي عليه السلام ثم ما تلى ذلك من مواقف لابن عباس بخلاف المصادر الثلاثة التي ذكرت الرواية المخالفة والتي تتناقض و الصورة التي تعرضها للحادثة وهذا ما يشير إلى اختلاف الرواة في النقل لأسباب سياسية أو شخصية.
٢. الذي عُرف عن المؤرخين ابن وضاح اليعقوبي وابن اعثم الكوفي امانتهما في النقل وتدقيق الاسانيد واختيار الصحيح من السقيم الأمر الذي جعل من الكتابين مصدرين مهمين من مصادر التاريخ الاسلامي بالأخص في تدوين الحقبة التي وقعت فيها الفتن والنزاعات.
٣. توافق ما ورد في المصدرين مع المصادر المعتمدة كتاريخ الطبري الذي أورد بسنده عن أبي عبيدة رواية موافقة تماماً لما ذكر في المصدرين من امانه ابن عباس وإن شيئاً لم يحدث من قبيل السرقة والهروب إلى الحجاز.
٤. تناقض المصادر الثلاثة مع نفسها من حيث أنها أتت على ذكر روايات مخالفة تماماً لما ذكرتها حول ابن عباس. فمن جانب تتهم ابن عباس بسرقة الأموال وترك أمير المؤمنين عليه السلام ومن جانب آخر تأتي بروايات تظهر ابن عباس كأروع ما يكون الوالي المخلص لقائده. فأية رواية نصدق الروايات التي دستها الأيادي المعادية لابن عباس ولا أمير المؤمنين عليه السلام، أم الروايات المنقولة بسند صحيح وأكدتها الكتب المعتمدة وإيدها العقل والمنطق.

من روج لهذه الروايات ؟

وفي ختام البحث كان لابد من وقفة مع من روج لهذه الرواية وهو من له مصلحة سياسية في إثارتها وبالأخص عندما نعرف بأن الترويج لها قد تم بعد وفاة ابن عباس وبالذقة في بداية قيام الدولة العباسية كما نوه العلامة التستري عن ذلك "الظاهر أن الجعل كان بعد وفاة ابن عباس، ولم يجترئوا على جعل مثله

في حياته بدليل إنه لم ينقل طعن أحد منه بذلك مع كون معاوية وخواصه بصدد الطعن عليه وعلى باقي بني هاشم بما استطاعوا^(٦٥) "

وعلى رأي التستري أن الرواية أنتشرت نهاية الدولة الاموية في زمن المروانيين عندما بدأ العباسيون مع العلويون يتعاونون على إسقاط الدولة الاموية في ثورات وحركات انتشرت في مختلف بقاع الدولة الاسلامية. وكان الهدف من ذلك خلق الفتنة بين العباسيين والعلويين، والذي يؤكد ذلك ما نقله المرتضى عن ابي عبيدة عندما دخل على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وكان والياً على البصرة في زمن ابي العباس السفاح فقال له سليمان: اخبرني عن قول علي في ابن عباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة

فقال له عمرو: كيف يقول علي هذا وابن عباس لم يفارق علياً عليه السلام حتى قتل وشهد صلح الحسن^(٦٦). فهذا ما يؤكد لنا أن الرواية وضعت في تلك الفترة وأخذت تنتشر كالريح سيما وأن الأجواء السياسية كانت تساعد على انتشارها حتى أن البعض من رجالات الشيعة تعاملوا معها كمسلمات فظهرت على كتب قيمة كرجال الكشي.

المصادر

١. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، مؤسسة اسماعيليان، قم.
٢. ابن أعثم الكوفي (٣١٤هـ): كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، ١٤١١ بيروت.
٣. ابن خلكان (٦٨١)، ابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم.
٤. ابن داوود: رجال ابن داوود، طبع النجف الاشرف.
٥. ابن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ بيروت.
٦. ابو الفرج الاصفهاني (٣٥٦): الاغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٧. مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق أحمد صفر، ط١، منشورات فيضية، ١٤٢٥هـ، ايران.
٨. الامين، السيد محسن: اعيان الشيعة، حققه حسن الامين، دار التعارف، بيروت.
٩. التستري، محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط١، امير الكبير، طهران.
١٠. الحلي، العلامة الحسن بن يوسف: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، مؤسسة نشر الفقاهة، قم.
١١. خان الشيرازي، السيد علي: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٢. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، بيروت.
١٣. الخوئي، السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث، ط١، مطبعة الآداب، النجف الاشرف.

٦٥ - بهج الصباغة ٨، ٩٥.

٦٦ - امالي المرتضى ١٢٣/٢.

١٤. سبط ابن الجوزي (٦٥٤): تذكرة الخواص، دار العلوم، ٢٠٠٤، بيروت.
١٥. السيد المرتضى، علي بن الحسين (٤٣٦): امالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل، ذو القربى
١٦. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق عبد الله مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٧. القمي، الشيخ عباس: الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران.
١٨. الكشي، أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي: اختيار معرفة الرجال، تحقيق حسن المصطفوي، مطبعة جامعة مشهد، ١٣٤٨، إيران.
١٩. المفيد: الارشاد، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف.
٢٠. الفصول المختارة، مؤسسة آل البيت، قم.
٢١. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.